

سورة الرعد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْمُرْثَلَاءُ أَيُّ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ
 وَلَكِنْ كَذَّبَ النَّاسُ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ
 عَمَدٍ وَهِيَ أَرْسُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
 لِأَجَلٍ مُسَمًّى بَدْرًا أَلَمْ يَفْصِلْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝
 وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
 جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ لَهَا رَائِي فِي ذَلِكَ لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ
 يَفْكُرُونَ ۝ وَفِي الْأَرْضِ قَطْعُ مَجْجُورَاتٍ وَجَسَتْ مِنْ أَغْصَابٍ
 وَزَرْعٌ وَخَيْلٌ صُنُوفٌ وَغَيْرُ صُنُوفٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَيَقْضِلُ
 بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
 ۝ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَذْكَارٌ أَمْ لَا لِي خَلْقٍ
 جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَى
 فِي أَعْتَابِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝

١- المرثلة ألف، لام، ميم، راء: حروف للدلالة على إعجاز القرآن للإنس والجن، وأنه حق من عند الله، من طريق تحدي العرب بمجاراته ومعارضته، ما دام مكوناً من حروف لغتهم العربية، آيات هذه السورة وغيرها آيات القرآن، والذي أنزل إليك أيها الرسول من ربك بالوحي هو الحق الذي لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يصدقون بأنه من عند الله، لعدم تأملهم وإمعان نظرهم.

٢- الله وحده هو الذي رفع السموات قائمة من غير أعمدة تستند إليها، ثم اعتلى على العرش الذي هو من أعظم المخلوقات اعتلاء يليق به، لا ندري كيفيته، ونؤمن بأنه حق، بلا تكييف ولا تشبيه، ولا تأويل ولا تعطيل، وذلك الشمس والقمر لمنافع العباد ومصالحهم، كل من الشمس والقمر يجري في فلكه إلى وقت معلوم: وهو فناء الدنيا، وقيام القيامة، يصرف الأمر على وجه

الحكمة، يبين الآيات الدالة على قدرته وتوحيده، لتوقنوا يا أهل مكة وأمالكم وتحققوا كمال قدرة الله على البعث والحساب.

٣- والله الذي بسط الأرض طولاً وعرضاً لتيسير العيش عليها والانتفاع بمنافعها، ولا ينافي ذلك كرويتها بذاتها لتباعد أطرافها، وخلق فيها جبالاً ثوابت، وأنهاراً تتدفق بالمياه، وخلق فيها من كل الثمار زوجين: ذكراً وأنثى للتلاقح، وصنفين متقابلين كالخلو والحامض، والأسود والأبيض، والصغير والكبير، يغطي الليل بظلمته ضوء النهار فيطمسه، إن في ذلك المذكور لدلالات على وحدانية الله تعالى، لقوم يتأملون، فيدركون وجود الله وتوحيده.

٤- وفي الأرض بقاع وأجزاء متلاصقات، ولكنها مختلفة النباتات والزرور والخصوبة ونوعية التربة، ويساتين عنب وزروع، ونخلات يجمعها أصل واحد، وتشعب فروعها، أو أصناف متماثلات وغير متماثلات، وكل من الزروع والأشجار يسقى بماء واحد، وتتفاضل فيما يؤكل من ثمرها شكلاً وطعماً، ولونا ورائحة، وقدراً وزمناً، إن في ذلك المذكور لدلالات على قدرة الله تعالى لقوم يتفكرون في عظمة الخالق، فيؤمنون به.

٥- وإن تعجب أيها النبي من تكذيب الكفار لك وعبادة الأوثان، فالأعجب منه تكذيبهم بالبعث وإنكارهم له، وقولهم: أيمكن بعثنا مرة أخرى بعد أن صرنا تراباً مفتتاً؟ أولئك المنكرون للبعث هم الذين جحدوا بقدرة ربهم، وأولئك الذين يقيدون بالقيود في أعناقهم، وأولئك أهل النار الماكثون فيها على الدوام.



٦- ويستعجلك المشركون المكذبون بالعقوبة قبل وقوعها بإزالة العقوبة المهلكة، وقد مضت من قبلهم عقوبات أمثالهم من المكذبين، فما لهم لا يعتبرون بهم؟ وإن ربك أيها النبي لذو ستر عظيم للذنوب، وإن ربك يعاقب الكفار المتمردين عقاباً شديداً. والمثلاث: العقوبات التي تماثل الذنب.

٧- ويقول الكفار العتاة: هلا أنزل على محمد من ربه معجزة حسية أخرى تدل على صدقه ونبوته، فردّ الله عليهم: إنما أنت أيها الرسول مخوف بالنار من عصي الله، وليس عليك إتيان الآيات، ولكل قوم نبي أو رسول يهديهم ويرشدهم إلى طريق النجاة.

٨- الله يعلم ما تحمل كل أنثى في رحمها من أنواع الأجنة وصفاتها وأحوالها وأعمارها، وغير ذلك، وما تنقص الأرحام بخروج الأولاد ومدة الحمل ونقص الأعضاء وظهور الحيض، وما تمر به الأجنة من أطوار النمو يوماً فيوماً، وكل شيء عند الله بقدر محدد ونسبة ثابتة معلومة. ومعرفة البشر نوع الجنين ذكر أو أنثى بالتحليل الكيميائي أو بالأشعة مثلاً، لا يخل باختصاص الله تعالى بمعرفة شؤون أخرى للحمل. وتغيض وتزداد أي تنقص وتزيده الأرحام للجنين.

٩- الله تعالى هو العالم بالحسيات الحاضرة

والغيبات غير المرئية، والعظيم الشأن، المستعلي على كل شيء بقدرته وقهره.

١٠- يستوي في علم الله تعالى من أخفى القول في نفسه ومن جهر به، من خير أو شر، ومن هو مستتر في ظلمة الليل، وظاهر بارز بالنهار، يسير في سربه، أي طريقه.

١١- لكل إنسان ملائكة تتعاقب في حفظه ورعايته، وهم الملائكة الحفظة، يحفظونه بأمر الله وإعانتة، لا أن يردوا أمر الله، فإذا جاء القدر تخلوا عنه، ويحصون عليه أعماله من خير وشر، إن الله لا يغير ما يقوم من نعمة أو عافية، حتى يغيروا ما بأنفسهم من الطاعة والخير إلى المعصية والشر، وإذا أراد الله بقوم عذاباً أو هلاكاً، فلا ردّ له، وليس لهم من غير الله من ناصر يلي أمرهم، فيجلب لهم الخير، ويدفع عنهم الشر.

١٢- الله الذي يريكم البرق (الشرارة الضوئية في السماء بسبب تصادم الأجرام السماوية) للتخويف من الصواعق، والطمع في المطر، وينشئ السحب الكثيفة المثقلة بالماء.

١٣- وينزه الله تعالى الرعد (الصوت المسموع خلال السحاب بسبب احتكاك الأجرام السماوية) بحمد الله سبحانه، أي أن صوت الرعد يدل على خضوع السحاب وكل شيء لله وتنزيه الله عما لا يليق به، والملائكة يستحون (ينزهون) من هيبته وجلاله، ويرسل الله الصواعق المحرقة (الشهب المنقضة من الأجرام السماوية) فيهلك الله بها من يشاء، وكفار مكة ونحوهم يجادلون في قدرة الله على البعث وفي الوحدانية، والله شديد القوة وأخذ الأعداء بالعقوبة. نزلت في شأن رجل من فراعنة العرب أرسل النبي ﷺ إليه رجلاً يدعوهُ إلى رسول الله ثلاث مرات، فأبى وقال: وما الله؟ فأرسل الله عليه في المرة الثالثة صاعقة ذهبت بحمف رأسه.

وَيَسْأَلُونَكَ بِالسَّيْفَةِ قَبْلَ الْحَسَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَعْفَرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلُمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ١ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ٢ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا يَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ٣ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ٤ سَوَاءٌ نَمُوتُ مِنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأُتَيْلٍ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ ٥ لَمْ يُعْطِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرَ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ إِلَهٍ ٦ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ إِلَهُكُمْ أَخَوَا وَطَمَعًا وَيَنْشِئُ السَّحَابَ الْثِقَالَ ٧ وَيُسْجَرُّ الزَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِمَالِ ٨



١٤ - لله تعالى الدعاء الصحيح ؛ لأنه وحده القادر على إجابة الداعي ، والذين يعبدون الأصنام والأوثان من غير الله ويدعونها لا يستجيبون لهم بشيء مما يطلبونه منهم ، إلا استجابة كاستجابة الماء لمن يسط فيه إليه من بعيد ، يطلب منه أن يأتيه ، ليصل فاه ، وما الماء ببالغ أصل إلى فم الداعي أبداً ، وليس دعاء الكفار وعبادتهم ألهمهم إلا في ضياع وخسران .

١٥- والله يخضع جميع من في السموات والأرض، طائعين وهم المؤمنون وقت الرخاء وغيره، وكارهين وهم الكفار وقت الشدة والضيق، وتخضع أيضاً أخيلتهم تبعاً لخضوع أصحابها في أول النهار، وما بعد العصر إلى الغروب، وخصّ هذان الوقتان بالذكر لازدياد ظهور الظلال فيهما.

١٦- قل أيها النبي للمشركين من قومك : من خالق السموات والأرض ومتولي أمرهما؟ فإن لم يجيبوا، فلا جواب إلا أن تقول : الله الخالق، قل لهم : فكيف اتخذتم من غيره أصناماً تعبدونها، لا تقدر على جلب النفع لكم أو دفع الضر عنكم، وتركتم مالكم السموات والأرض؟ قل لهم : هل يتساوى الكافر الجاهل والمؤمن المبصر العالم، وهل تتساوى ظلمات الكفر والإيمان؟ لا، بل أجعل المشركون شركاء الله،

لَعْدَوْهُ أَسْحَاقُ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ حَسْرَتَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يُعِطُ كُفْرَهُ إِلَى الْمَاءِ نَبْلُغُهُمْ وَأَمَّا هَوِيلٌ فَمَا هُوَ بِمَبْلُغٍ وَمَا عَادَ الْعَكْبَرِينَ
 ١٤ وَإِلَىٰ أَفْصَحَ ١٥ وَلِلَّهِ يُحْجَدُ مِنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طُلُوعًا
 وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْعُدْوِ الْأَوَّلِ ١٦ وَأَلْصَقَ ١٧ قُلْ مَنْ رَبُّ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَتَأْتَحِثُّمْ مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ لَا يَعْلَمُونَ
 لَأَنسِفَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ
 يَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَلْفَةَ
 فَتَنَسَّاهُ أَلْقَاهُ عَلَيْهِ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْدَرُ
 ١٨ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ
 زَبَادًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ وَبَدَّ
 مُشْلَةً كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَرَيْدٌ هَبَّ
 جُثَاءً وَأَمَّا الْمَاءُ فَمِنَعَ النَّاسَ مِنْ كَيْدٍ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
 اللَّهُ الْأَمْثَالَ ١٩ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلرَّحْمَنِ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا
 لَهُمْ أَنُفُسُهُمْ يَوْمَئِذٍ مُتَعَدَّةٌ لِأَفْئِدَةٍ وَأَفْئِدَتُكَ لِأَفْئِدَتِكَ
 لَمْ تَسْوَءَ الْحِسَابَ وَأَمَّا وَهْدٌ فَهُوَ وَسَّاسٌ أَلْهَمَ ٢٠

خلقوا كما خلق الله، فاستحقوا العبادة كما استحقها؟ فلم يتمكنوا من تمييز الخلقين، قل لهم: الله وحده خالق كل شيء، وهو المتوحد بالالوهية، الغالب على كل شيء.

١٧- أنزل الله من السحاب مطراً فسال (جرى) ماء الأودية بقدر حجم الوادي واتساعه قلة وكثرة، فرفع واحتمل بقوة السيل فيما جرف معه غناء ورغوة طافية عالية فوق الماء، وبعض المعادن التي يوقدون عليها ليصهروها في النار من فلزات الحديد والذهب والفضة وغيرها، بقصد طلب الزينة واتخاذها حلية وهي الذهب والفضة، أو من أجل اتخاذها أمتعة وهي الحديد والنحاس ونحوهما، يتنفع بها كالأواني إذا أدت آلات الحرب والزراعة والمصانع، لها زبد مثل زبد السيل، أي للمعادن زبد أيضاً، وهو خبث هذه الفلزات المعدنية، مثل ذلك المذكور مثل الحق والباطل وأهل كل منهما، فأما الزبد الطافي فيزول باطلاً مرمياً به، وأما ما ينفع الناس منها من الماء والمعادن فيبقى في الأرض زماناً، ويتنفع به أهلها، ومثل ذلك المذكور بين الله الأمثال لإيضاح الشبهات. والمراد: أن الله تعالى بعد بيان خطأ الكفار في الآية المتقدمة (١٤) وما بعدها في اتخاذ آلهة لا تضر ولا تنفع، ضرب مثليْن لثبات الحق وهو الإيمان بالقرآن، وزوال الباطل وهو الكفر، والباطل كالزبد فوق الماء يذهب ويتبدد، والحق يبقى كالماء والمعدن الصافي اللذين يبقيان في الأرض، فيتنفع بهما الناس. والمثلان أحدهما ريفي وهو الماء والزرع، والآخر مدني وهو صناعة المعادن. وقوله ﴿وَمَا﴾ خبر ابتداء، والمبتدأ ﴿زبد﴾ ومثله: نعت لزبد.

١٨ - المثوبة الحسنة وهي الجنة للذين استجابوا لربهم بالإيمان والطاعة، والذين لم يطيعوا الله ورسوله لا ينفعهم في الآخرة الفداء بجميع ما في الدنيا، وَضَعَفَ ما فيها، أولئك الذين لم يطيعوا الله وماتوا وهم كفار لهم سوء العذاب في الآخرة، ومسكنهم جهنم، وبئس المستقر الذي يستقرون فيه.



﴿أَفَن يَعْلَمُ إِنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَا هُوَ أَعْمَى نَسَا
يَذْكُرُ أُولَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوَفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ
الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ وَيَنْخَشُونَ
رُءُوسَهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ
رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَمْ يَعْفَى الدَّارَ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ
يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ
عَقْبَى الدَّارَ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
أُولَئِكَ لَمْ يَغْفَرْ لَهُمْ سُوءُ الدَّارَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ
يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ
إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ
إِنَّا اللَّهُ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا
وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

١٩- هل من يعلم فيؤمن ويستجيب كالحزمة، يعلم أن ما أنزله الله إلى رسوله هو الحق الثابت الصحيح، كمن لا يعلم كأي جهل وهو أعمى القلب والبصيرة ولا يؤمن؟ لا يستويك ولا يتشابهان، إنما يتعظ أصحاب العقول الراجحة.

٢٠- وأولو العقول هم الذين يوفون بعهد الله ويعهد العباد، فيقومون بما فرضه الله عليهم، وينفذون معاهداتهم مع الآخرين، ولا ينقضون بنود الموائيق والعهود التي التزموها. والميثاق: العهد المؤكد.

٢١- وهم أيضاً الذين يصلون ما أمر الله بوصله وهو صلة الأرحام وغيرها، ويخافون وعيد ربهم فلا يعصونه، ويخشون خطر الحساب، فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

٢٢- وهم كذلك الذين صبروا على طاعة الله، وعلى أقدار الله، وترك المعاصي، بقصد طلب رضا ربهم، لا لأغراض دنيوية أخرى من فخر أو سمعة وغيرها، وأدوا الصلاة في أوقاتها، وأنفقوا في طاعة الله بما رزقهم الله، فادوا الزكاة وغيرها، سرا وجهراً، ويدفعون الإساءة بالإحسان، أولئك المتصفون بالصفات المذكورة لهم العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، وهي الجنات.

٢٣- تلك العاقبة الحميدة هي جنات إقامة وخلود، ومعهم من كان ممن صلح من الآباء والأمهات والأزواج والذرية الأولاد، وإن لم يكونوا في درجاتهم في التقوى والصلاح، تكريماً لهم وإناساً ببقاء أحببتهم وإقرار أعينهم وسرورهم، وتدخل الملائكة من جميع أبواب الجنة ومنازل السكنى للتهنئة والتحية، قائلين لهم ما يأتي:

٢٤- يقولون لهم: سلام عليكم، سلمتم من الآفات ودامت سلامتكم، بسبب صبركم على الطاعة والتقوى، وعن المعاصي، فنعمت الجنة عقابكم وداراً لكم أيها الأبرار.

٢٥- والذين ينقضون بنود عهد الله بعد إيمانه ومعاهدته على الطاعة، ويقطعون ما أمر الله بوصله كصلة الأرحام، ويفسدون في الأرض بالكفر والظلم والمعاصي وإثارة الفتن، أولئك لهم الطرد والإبعاد من رحمة الله، ولهم عذاب النار، والعاقبة السيئة في الآخرة.

٢٦- الله يوسع الرزق لمن يشاء، ويضيق الرزق على من يشاء من خلقه، والبسط لا يدل على الكرامة، والقبض لا يدل على الإهانة، وفرح أهل مكة فرح بطل بطلهم في الدنيا، وجهلوا ما عند الله، وما الحياة الدنيا في جنب الآخرة إلا متعة قليلة لا تدوم.

٢٧- ويقول كفار مكة: هلا أنزل على محمد معجزة حسية كعصا موسى ويده وناقص صالح، قل لهم أيها النبي: إن الله يفضل من يشاء لإضلاله، لأنه عاند وتمرد، فلا تفيده الآيات شيئاً، ويرشد إلى دينه وإلى الحق من تاب، وأقلع عما كان عليه، وترك العناد.

٢٨- والذين أنابوا هم الذين آمنوا بالله وبما أنزل، وتسكن وتستأنس بذكر الله بتوحيده وتذكر وعده، ألا بتوحيده الله ووعدته والتأمل في مخلوقاته وصنعه، وتذكر قدرته تسكن قلوب المؤمنين.

٢٩- الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم الحياة الطيبة والسرور، وحسن المرجع في الآخرة.

٣٠- مثل إرسال الرسل السابقين، أرسلناك في جماعة من الناس، مضت من قبلها جماعات، لتقرأ عليهم القرآن الذي أوحينا به إليك، وهم يجحدون باسم الرحمن، فينكرون وجود هذا الاسم لله تعالى، ولا يشكرون نعمه، قل لهم أيها النبي: الرحمن هوري، أي خالقي ومدير أمري، لا إله في الوجود غيره، ولا مستحق للعبادة سواه، عليه اعتمدت في جميع أموري ومناصري، وإليه وحده مرجعي في الآخرة وتوبتي.

٣١- القرآن نفسه هو المعجزة أو الآية لو تعقلوا، فلو فرض أن هناك قرآناً أو كلاماً تُسير به الجبال عن أماكن استقرارها بإزالته وتلاوته، أو قطعت وشققت به الأرض، فكانت سهولاً وعيوناً وأنهاراً، أو صار به الموتى أحياء بقرائه عليهم، لكان هذا القرآن، ولما آمن به أهل مكة عندما شاهدوا منه ما ذكر، بل الله الأمر جميعاً، فهو القادر وحده على إنزال الآيات، ولو شاء أن يؤمنوا لآمنوا، سواء أنزل ما اقترحوا أم لم ينزل،

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَلْذُقُوا عَلَيْهَا أَلْقَيْنَا آيَاتِكَ وَمُؤَيَّدُونَ بِأَرْحَمِينَ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَآبٌ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا سَأَلُوا عَنْ حَبِيبٍ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّرَ بِهِ الْمَوْتُ بَلَّغْتُ لَآيَاتِهِ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِ الْبَشَرُ إِلَّا بِوَيْسَاءَ اللَّهِ لَهْدَىٰ لِّلنَّاسِ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ رُسُلُ تَمِيمٍ قَبْلَكَ فَآمَنَّا لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْنَاهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَن هُوَ أَقْبَرُ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَأْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَلْ زَيْنٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَضْدٌ وَأَعْيُنُ السَّيْلِ وَمَن يُضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّن لَّهِ مِن وَّاقٍ ﴿٣٤﴾

أفلم يعلم المؤمنون ويتحققوا أن لو يشاء الله، لهدى الناس جميعاً إلى الإيمان، ولو من غير مشاهدة آيات ومعجزات، ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا من الكفر وتكذيب الرسول داهية تفرق قلوبهم، من قتل وأسروا وقحط، أو تحل القارعة قرب ديارهم، فيملؤهم الخوف والفرع منها، حتى يحيق مصداق وعد الله الذي وعده به وهو النصر عليهم وفتح مكة أو قيام القيامة، إن الله لا يخلف الميعاد على الإطلاق، لا تمتنع الكذب في كلامه.

٣٢- وكما استهزئ بك أيها الرسول من المشركين، استهزئ برسل سابقين من أقوامهم، حين دعوهم إلى الإيمان، فاصبر على أذاهم، فأمهلت الكافرين مدة للتوبة، ثم أخذتهم بالعذاب الشديد، فكيف كان عقابي لهم على الكفر والاستهزاء؟!

٣٣- هل يتساوى من هو رقيب على كل نفس، وعالم بما كسبت من خير أو شر، ومن ليس كذلك من الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع؟ وقد جعلوا لله شركاء في العبادة، قل لهم أيها النبي: سمؤهم له من هم، والمراد أنهم لا حقيقة لهم، بل أتخبرون الله بشركاء لا يعلمهم في الأرض ولا في السماء، بل أتصفونهم بالشركاء بقول ظاهري فقط، باطل لا أصل ولا حقيقة له فهو كالتخيل؟ بل زَيْنٌ للكفار كفرهم وكذبهم وافتراؤهم على الله، وصرفوا عن الهداية والإيمان، ومن يجعله الله ضالاً عن الحق والهدى بسبب علمه السابق بضلالة وكفره، فليس له أحد يهديه.

٣٤- لهؤلاء الكفرة عذاب في الدنيا بالقتل والأسر، ولعذاب الآخر أشد وأنكى منه، وما لهم من عذاب الله من مانع ولا دافع ولا عاصم.



٣٥- صفة الجنة العجيبة الشأن التي وعد بها المتقون: أنها تجري من تحت بساطتها الأنهار، ثمارها دائمة لا تنقطع، وظلها دائم كذلك لا يزول، تلك الجنة عاقبة الذين اتقوا الله، بالتزام أوامره، واجتناب نواهيه، وعاقبة الكافرين بالله النار، لا غير.

٣٦- والمسلمون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه من مؤمني اليهود، وهم ثمانون رجلاً يفرحون بما أنزل إليك أيها النبي من القرآن، وأهل الكتاب الذين تحزبوا على النبي ﷺ من اليهود وساعدوا المشركين، مثل كعب بن الأشرف اليهودي وأصحابه، من ينكر بعض القرآن، مثل نسخه لشرائعهم وكل ما يخالف ما افتروه كادعاء نبوة المسيح لله، قل لهم أيها النبي: إنما أمرت أن أعبد الله وحده، ولا أشرك به أحداً غيره في عبادته، إلى الله أَدْعُو الناس لا إلى غيره، وإلى الله وحده مصيري ومرجعي.

٣٧- ومثل هذا الإنزال المشتغل على أصول الدين، أنزلنا القرآن على أصول الشريعة وفروعها، للحكم بين الناس في الوقائع والقضايا بالحكمة والعدل، حكماً قاطعاً لا يبدل، فاصلاً بين الحق والباطل، بلسان العرب ليسهل فهمه وحفظه، كما أنزلنا الكتب على الرسل بلغات أقوامهم، ولئن اتبعت

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ٣٥
وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَنْخَارِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ٣٦ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَ هُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ٣٧ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِشَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ٣٨ يَتَخَوَّاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِ وَيُنَبِّئُ عَنْهُ ٣٩ أُمُّ الْكِتَابِ ٤٠ وَإِنْ مَأْرَتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ وَسَوْفَ يَكُنْ فَاثِمًا عَلَيْكَ أَلْبَلَعُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ٤١ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعِلَهُمُ الْكَفَرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ٤٢

فرضاً أهواء قومك الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم، كالصلاة إلى قبلتهم، بعدما جأك من تعليم الله إياك، ليس لك من الله من صديق ناصر ينصرك، ولا مانع يقيك من عذابه أو يمنع العقاب عنك.

٣٨- ولقد أرسلنا رسلاً بشراً من قبلك مثلك أيها النبي، وجعلنا لهم أزواجاً من النساء، وذرية توالدوا (أولاداً) كما هي لك، وما صح لرسول أن يأتي بمعجزة حسية من نفسه إلا بأمر الله وإرادته ومشيتته، لكل حادث كتاب معين، ولكل أمر مقضي أجل محدد. والمراد بالكتاب هنا: الشيء المكتوب، أي معجزة تناسب زمن الرسول المرسل.

٣٩- ينسخ الله أحياناً ما يشاء من الأحكام، ويبقي ما يشاء من الأحكام بمقتضى الحكمة والمصلحة وملائمات الزمان، وعنده تعالى أصل الكتب، وهو اللوح المحفوظ الذي لا تبدل فيه ولا تغيير.

٤٠- وإن أريناك بعض ما نعدهم به من العذاب في حياتك، أو تنوفيك قبل تعذيبهم، فما عليك إلا تبليغ الأحكام، وعلينا محاسبتهم على أعمالهم ومجازاتهم إذا صاروا إلينا.

٤١- أولم ير أو يعلم أهل مكة وغيرهم أننا نتقص من جوانب الأرض التي يعيشون فيها بتخريبها وإهلاك أصحابها، أو بفتح بعضها على المسلمين، والله يحكم بما يشاء، لا متابع ولا ناقض مبطل لحكمه، والله يحاسب الناس عما قريب في الآخرة، على وجه السرعة.

٤٢- وقد مكر الكفار الذين من قبلهم من الأمم بأنبيائهم، والمكر: التدبير الخفي، فله التدبير المطلق، لا يؤبه بتدبير دون تدبيره، ولا يخيب تدبيره أبداً، وأما مكر غير الله فلا يضر إلا صاحبه، يعلم الله جميع ما تكسب كل نفس، فيعجزها، وسيعلم كل كافر لمن العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، لهم أم للمؤمنين!!

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَمُرْسَلًا مِّن مَّرْسَلٍ أَكُفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿١٧﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِبُ ﴿١٨﴾ أُنزِلَتْهُ إِلَيْكَ لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١٩﴾ اللَّهُ
الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَيُؤْتِي الْمَالَكَيْنِ
مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يَسْتَحْيُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى
الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ
فِي صُلَىٰ بَعِيدٍ ﴿٢١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِبَلْسَانٍ
قَوْمِهِ لِيُنْذِرَ لِقَوْمِهِمْ فُضِّلَ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا
أَن أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِنَا
أَلَّا يَقُولُوا لَوْلَا نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾

٤٣- ويقول الكفار: لست يا محمد رسولا مرسلًا من الله إلى الناس، قل لهم: كفى بالله شاهداً على صدقي بيني وبينكم، فهو يعلم صحة رسالتي، وكذلك المطلع على علم أهل الكتاب من مؤمني اليهود والنصارى يشهد أيضاً بصدق دعوتي ورسالتي، لما علموا صدقه من كتبهم.

سورة إبراهيم

١- ﴿الر﴾: ألف، لام، را، للتنبيه والتحدي وإثبات إعجاز القرآن، كما تقدم في أمثاله، هذا كتاب وهو القرآن أنزلناه إليك أيها النبي، لتخرج الناس به من ظلمات الكفر والجهل والضلالة إلى نور الإيمان والعلم والهداية، بأمر ربهم وتوفيقه وتيسيره، إلى طريق القوي، الغالب في ملكه، القاهر لعباده، المحمود على كل حال، المستحق للحمد لكثرة نعمه، وقوله: ﴿إلى صراط﴾ بيان للنور المتقدم ذكره.

٢- الإله الذي له جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وتصريفاً وتديراً وتعبداً، وهلاك وعذاب للمنكرين وجود الله أو الذين عبدوا غيره، من عذاب شديد صاروا إليه يوم القيامة، أي يولولون من شدة العذاب.

٣- العذاب للكفار الذين يختارون أو يؤثرون الحياة الدنيا على حياة الآخرة الدائمة، ويمنعون الناس عن الإيمان والدخول في الإسلام، ويطلبون لملة الإسلام اعوجاجاً وزيفاً وانحرافاً عن الحق، لموافقة أهوائهم، أولئك الكفار المذكورون في خطأ بعيد عن الحق والصواب.

٤- ما أرسلنا رسولا من الأمم السابقة إلا متكلماً بلغة قومه الذين بعث فيهم، ليفهموا عنه شرع الله تعالى، وليبين لهم ما أتى به من الشريعة، ويكون المضل والهادي بعد هذا البيان هو الله عز وجل، وهو سبحانه القوي في ملكه، الحكيم في صنعه، فلا يهدي ولا يضل إلا لحكمة. وليس الإضلال والهداية أمراً جبرياً، وإنما الإضلال يكون بسبب التمادي في الكفر والعناد، والهداية بالتوفيق والرعاية.

٥- ولقد أرسلنا موسى مصحوباً بالمعجزات والآيات التسع إلى فرعون وملئه، وقتلناه في مضمون الرسالة: أخرج بني إسرائيل في ملك فرعون من ظلمات الكفر والجهل، إلى نور الإيمان والعلم، وذكرهم بالوقائع الجسام التي مرت على أم الأنبياء السابقين، وكيف نجح المؤمنون وهلك الكافرون؟ إن في ذلك التذكير بأيام الله لدلالات واضحات على التوحيد وكمال القدرة، وعبرة وعظة، لكل كثير الصبر على المحن والبلاء والطاعة، كثير الشكر للنعم.